SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.23 NO. 1 2024
DOI: 10.51984/JOHS.V23I1.2922

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/johs

تأويلات الصادق النيهوم الحداثية لمعجزات الأنبياء.

مهند إبراهيم عبد الله بن عمران

قسم العقيدة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

الملخص

يقوم هذا البحث على دراسة آراء الصادق النيهوم المتعلقة بمعجزات الأنبياء، وذلك باستقراء كتبه وعرض أقواله وتحليلها ونقدها، وبيان مدى ترابط منهجه التأويلي بالمنهج العام للحداثيين في التعامل مع التراث، وتبرز أهمية البحث في دراسته لآراء شخصية حداثية مؤثرة على المستوى الثقافي.

وقد جاء البحث في: مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة.

وأما أبرز نتائج هذا البحث، فهي: أن موقف النيهوم من معجزات الأنبياء هو إنكارها، وأن منهجه التأويلي للنصوص الدينية يستند في أغلبه على أطروحات المستشرقين، وأن جُلَّ تقريراته المتعلقة بموضوع البحث تفتقر إلى أهم أسس البحث العلمي؛ فهي في جملتها مجرد دعاوى تفتقر إلى الاستدلال والموضوعية وتتسم بالتناقض.

الكلمات المفتاحية:

الأنبياء
التأويل
الحداثة
المعجزات
النيهوم

Al-Sadiq Al-Nayhoum's modernist interpretations of the miracles of the prophets.

Mohanad ibrahim abdallah ben omran

Department of Creed, Islamic University in Madinah, Saudi Arabia

ABSTRACT

This research is based on the study of the views of Al Sadiq Al Nayhoum that are related to the miracles of the prophets, by extrapolating his authorship, presenting his statements, analyzing and criticizing them. It also highlights the importance of conducting the research, in intersection, to his understanding and views as a modernist figure influential on the cultural level.

The research comes out in an introduction, an exploratory section, three proposed demands, and a conclusion.

The main findings of this research have been focusing on the exegetical matters of Al Nayhoum's attitudes towards the prophets' miracles. Within the purview of the research, these convictions are found to deny them as his inductive-exegetic and the deductive-dogmatic interpretations (contrary to the religious texts) are mostly based on argumentative theses of Orientalists and that most of his claims adherent to the subject of the study lack the axiomatic foundations of scientific research.

Keywords:

The Prophets
Hermeneutics
Modernity
Miracles
Alnayhoum

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين، أما بعد:

فإن من تمام رحمة الله تعالى، وكمال عدله وفضله، أن أرسل للناس رسلًا مبشرين ومنذرين، {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [سورة النساء:165].

ولما كانت حكمة الله تقتضي عدم التسوية بين الصادقين والكاذبين، كما قال تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [سورة ص:28]؛ فقد أيد الله تعالى رسله وأنبياءه بآيات[1] وبراهين، دالّة على صدقهم، وأنهم مُرسَلون من عند الله جل جلاله[2]، وجعل سبحانه وتعالى ((من خواصها أنه لا يَقدر أحد أن يُعارضها ويأتي بمثلها))[3].

وقد جاء ذكر كثير من آيات الأنبياء عليهم السلام في النصوص الشرعية، منها:

الطوفان الذي أغرق المكذبين من قوم نوح عليه السلام، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [سورة العنكبوت:14].

ومنها: انفلاق البحر، وانقلاب العصا حية لموسى عليه السلام، كما قال تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [سورة الشعراء:63]، وقوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} [سورة طه:17-20].

ومنها: انشقاق القمر لنبينا صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ

*Corresponding author:
E-mail addresses: mohanadbenomran@gmail.com

Article History : Received 01 October 2023 - Received in revised form 05 March 2024 - Accepted 07 March 2024

وَانشَقَّ الْقَمَر} [سورة القمر:1].

وأعظم آيات الأنبياء مطلقًا هو القرآن الكريم، الذي {لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد} [سورة فصلت:42]، والذي عجز الإنس والجن على الإتيان بمثله؛ {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [سورة الإسراء:88].

وقد تنوعت انحرافات أهل الباطل في هذا الباب، فأنكر أقوام المعجزات كلها وزعموا أنها من أساطير الأولين، وادَّعى آخرون أنها من قبيل التخييل، وزعم غيرهم أنها من قبيل القوى النفسانية للأنبياء، إلى غير ذلك من الآراء الباطلة.

وقد كان لأكثر الحداثيين اهتمام كبير بقضية المعجزات؛ لما يتضمنه إثباتها من معارضة لمناهجهم المادية وفلسفاتهم الحسية، وقد اختلفت تأويلاتهم وأساليبهم في إنكار هذه المعجزات، وإن كانت متفقة في بعض الأصول العامة التي يصدرون عنها كتقديم العقل على النقل، والاعتماد على الدراسات الاستشراقية، وتسليط المناهج النقدية الغربية على النصوص الشرعية.

وقد تعرّض الكاتب الحداثي الليبي الصادق النهوم لقضية المعجزات، وكرر الحديث عنها في جملة من كتبه ومقالاته؛ ولذا فقد ارتأيت أن أخصص هذا البحث في عرض آراء النهوم المتعلقة بمعجزات الأنبياء مع تحليلها ونقدها، خاصة مع عدم وجود دراسة سابقة في نقد آرائه المتعلقة بالمعجزات.

وقد خصصت البحث في عرض آرائه المتعلقة بالمجزات عمومًا، وأما ما يتعلق بآحاد المعجزات وكلامه عنها، فلم أتعرض له بالنقد في هذا البحث؛ وذلك لما قد يؤدي إليه من إطالة البحث كثيرًا.

وقد جعلت هذا البحث بعنوان: (التأويل الحداثي لمعجزات الأنبياء -الصادق النهوم أنموذجًا-).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

1- رد شبهات المبطلين، والدفاع عن العقيدة الصحيحة، وكشف زيف الدعاوى الحداثية المتسترة تحت غطاء البحث العلمي والموضوعية والحياد المعرفي.

2- عرض ونقد آراء أحد أبرز الشخصيات الحداثية، وأكثرها تأثيرًا في مجتمعه، مما يشكل إضافة نوعية للدراسات العقدية المتعلقة بنقد الخطاب الحداثي.

3- أن الركائز التي اعتمد عليها النهوم في طرحه المتعلق بقضية المعجزات، تعد من الركائز الرئيسة في فكره عمومًا وقد اعتمد عليها في نقده لكثيرٍ من الأصول الدينية، والأحكام الشرعية.

4- خطورة وجرأة الآراء التي طرحها الصادق النهوم في مقالاته على عقائد المسلمين، مما يستوجب نقدها وبيان معارضتها للكتاب والسنة.

5- بيان العلاقة بين المنهج الاستشراقي والمنهج الحداثي في نقد الأصول الدينية، والتشكيك فيها.

الدراسات السابقة

لم أقف -بعد بحث- على أي دراسة عقدية تتعلق باستقراء آراء الصادق النهوم المتعلقة بمعجزات الأنبياء ونقدها -على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة-

تساؤلات البحث:

1- ما هو موقف الصادق النهوم من النصوص الدالة على معجزات الأنبياء؟

2- ما هي المنهجية التي تعامل بها النهوم مع نصوص المعجزات؟

3- ما هي علاقة النهوم بالتراث الاستشراقي؟ وما أثر ذلك في نتاجه الفكري؟

4- هل يلتزم الصادق النهوم بأصول البحث العلمي في أطروحاته الفكرية؟

منهج البحث

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

خطة البحث

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأول: التعريف بالفكر الحداثي العربي.

المسألة الثاني: التعريف بالمعجزات.

المسألة الثالث: التعريف بالصادق النهوم.

المطلب الأول: إنكار المعجزات بدعوى أنها وافدة من الأديان السابقة.

المطلب الثاني: إنكار المعجزات بدعوى أنها خرافات وأساطير قديمة.

المطلب الثالث: إنكار المعجزات بدعوى اشتباهها بالسحر.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

التمهيد

المسألة الأولى: التعريف بالفكر الحداثي العربي

الحداثة مصطلح فكري يمثل مرحلة من مراحل مسيرة الفكر الغربي، ونتيجة من نتائج الصراع الحاد مع سلطة الكنيسة، إذ كان الخيار أمام العقل الغربي في تلك المرحلة محصورًا بين الأخذ بالتفسيرات الدينية المناقضة للعلم والواقع أو الاستقلال بالعقل الإنساني وقطع العلاقة بالموروثات الدينية؛ وقد اختار العقل الغربي الخيار الثاني، وهو ما شكل القاعدة التي انطلقت منها كل الفلسفات والنظريات الفكرية الغربية بعد ذلك.

فالحداثة في أصلها ردة فعل عنيفة على تحكم السلطة الكنسية في العقل الغربي ومسيرته العلمية، وليست نتيجة موضوعية قائمة على البحث وإعمال الفكر؛ مما جعلها تنتهج الهدم تحت شعارات التحديث[4]!

ويمكن إجمال أبرز الأسس التي انبنت عليها الحداثة في الثقافة الغربية في أمرين[5]:

1- الثورة ضد الدين، وذلك برفض جميع التفسيرات الدينية، وتحييد الدين عن جميع مناحي الحياة.

2- إعلان مركزية العقل، وتعظيم الذات الإنسانية.

وإذا نظرنا إلى الحداثة في الفكر العربي المعاصر، فإننا سنجد أن المشروع الحداثي العربي يعد امتدادًا للحداثة الغربية[6]؛ حيث يشترك معها في الأسس والمنطلقات، وإن كان يختلف معها في بعض الوسائل والأدوات.

وأما أبرز الأسس التي ينبني عليها الفكر الحداثي العربي فيمكن إجمالها في أمرين أيضًا:

1- التجديد والنهضة، وقد كانت نقطة البداية دائمًا بالثورة ضد التراث، وقطع الصلة بالقديم، الذي يُشكل عائقًا أمام النهضة والتحديث بحسب الفكر الحداثي، إلا أن الفكر الحداثي قد تميز عن غيره من التيارات المعادية للدين بمنهجه التفكيكي الذي يسعى إلى هدم التراث الديني بتفكيكه من الداخل، وتقديم قراءات جديدة للنصوص الدينية تتماشى مع مفهوم الحداثة[7].

2- الأنسنة[8]، وذلك بجعل العقل الإنساني حاكمًا على النصوص، ومقومًا ومفسرًا لها، ولذلك يتم التعامل مع النصوص الدينية بعيدًا عن خصوصيتها المتمثلة في كونها وحي إلهي، وذلك بفرض هيمنة الأدوات المعرفية والمناهج النقدية الغربية عليها[9].

وأما أبرز الأدوات التأويلية التي يستعملها الخطاب الحداثي العربي في مشروعه التجديدي للخطاب الديني: فهو إعادة تدوير الدراسات الاستشراقية، واستجلاب مضامينها وتقريراتها في نقد وتأويل النصوص الدينية.

ونستنتج مما سبق أن الفكر الحداثي العربي هو: امتداد للحداثة الغربية في مساراتها الفلسفية، وتحولاتها الفكرية المتعلقة بقراءة التاريخ والتراث، وتحديد مفاهيم النهضة[10].

المسألة الثانية:

التعريف بالمعجزات

أولًا: تعريف المعجزة لغة:

تدور مادة (عجز) حول الضعف، وآخر الشيء، يقول ابن فارس رحمه الله: ((العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مُؤخر الشيء))[11].

ويطلق العجز على السَّبْق، يقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه[12]، والتعجيز: التثبيط، والمعجزة: اسم فاعل من الإعجاز، زيدت الهاء للمبالغة، وهي: واحدة معجزات الأنبياء[13].

فالنبي قد أعجز قومه بما جاء به من الآيات، أي: فاتهم وسبقهم فلم يدركوه، وهم عجزوا، أي: ضعفوا عن الإتيان بمثل ما جاء به[14].

ثانيًا: تعريف المعجزة شرعًا:

تسمية آيات الأنبياء بـ(المعجزات) تسمية اصطلاحية مشهورة عند العلماء، إلا أنها لم ترد في نصوص الكتاب والسنة، إذ الوارد في النصوص استعمال (الآية) و(البرهان) و(البينة)[15].

وقد تعددت تعريفات أهل العلم للمعجزة، ولم يخل بعضها من انتقادات واستدراكات[16]، ولعل من أقرب التعريفات لمفهوم المعجزة شرعًا، وأبعدها عن القيود والاشتراطات المحدثة؛ أنها: أمر خارق للعادة، سالم من المعارضة، يُجريه الله تعالى على يد أنبيائه، دالًا على صدقهم[17].

المسألة الثالثة:

التعريف بالصادق النيهوم

اسمه: الصادق رجب النيهوم.

مولده: ولد في مدينة بنغازي سنة 1937م.

مؤهلاته العلمية: تخرج من قسم اللغة العربية بالجامعة الليبية سنة 1961م، ثم انتقل لاستكمال دراسته بالخارج، ونال درجة الدكتوراة في مقارنة الأديان بإشراف بعض المستشرقين.

أبرز وظائفه: عمل معيدًا بكلية الآداب بالجامعة الليبية سنة 1962م، ثم عمل أستاذًا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة هلسنكي سنة 1968م، وشغل منصب أمين الفكر والتثقيف بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا سنة 1972م، أشرف على عدة موسوعات ثقافية.

أبرز مؤلفاته: فرسان بلا معركة، نقاش، تحية طيبة وبعد، رواية القرود، ورواية من مكة إلى هنا، وقد نشر مقالاته في عدة صحف ومجلات أبرزها: صحيفة الحقيقة في بنغازي، ومجلد الناقد في بيروت.

وفاته: توفي في جنيف سنة 1994م[18].

المطلب الأول

إنكار المعجزات بدعوى أنها و افدة من الأديان السابقة

يقرر الصادق النيهوم في جملة من مقالاته وكتبه أن آيات الأنبياء ليست إلا أساطير وخرافات تناقلتها المصادر الدينية السابقة -خاصة التوراة والإنجيل- ثم نُقلت إلى القرآن الكريم، لا على سبيل الاعتراف بصحتها وتقريرها، وإنما لأهداف أخرى من أبرزها: الوعظ، وتحقيق التآخي مع أهل الكتاب.

وقبل الخوض في هذه الدعوى التي استند عليها النيهوم في تأويله لما ثبت صريحًا في القرآن والسنة من معجزات الأنبياء، يحسن مناقشة شبهته التي جعلها تقدمة لهذه الدعوى، ألا وهي: إنكار أمية النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك سينقسم الكلام في نقد هذه الدعوى التي عُقد لها هذا المطلب إلى قسمين:

أولًا: إنكار أمية النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد قدرته على القراءة والكتابة، بل واطلاعه على العلوم والمصادر الدينية السابقة.

ذهب جمهور المستشرقين إلى القول بعدم أمية النبي صلى الله عليه وسلم[19]؛ وذلك للتدليل على إنكارهم للوحي، وأن ما تضمنه القرآن الكريم من أخبار وشرائع إنما تم اقتباسها من المصادر الدينية القديمة، وقد تبعهم في ذلك جماعة من المستغربين المتدثرين بشعارات الحداثة والتنوير، ومن أبرز أُدباء الحداثة ومُنظريها المنافحين عن هذا القول -ممن يدخل في نطاق هذا البحث- الكاتب الليبي الصادق النيهوم، فقد بذل جهدًا كبيرًا في تلفيق شبهات المستشرقين، وإعادة تدويرها؛ لدعم هذا القول، كما سيتضح ذلك من خلال أقواله الآتية:

يقول الصادق النيهوم في مقالة بعنوان (إقامة العدل أم إقامة الشعائر):

((والثابت أن القصة المتداولة في كتب التفسير، هي مجرد محاولة جاءت في وقت لاحق لتمرير الفكرة القائلة بأن الرسول محمداً كان (أمياً) بمعنى أنه لم يكن يعرف القراءة، وهي فكرة ولدت أساساً لتفسير قوله تعالى في سورة الأعراف {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} لكن هذا التفسير نفسه هو مجرد خطأ ناجم عن سوء التفسير، فكلمة (أمي) لا تعني (غير متعلم) إلا في قاموس رجل جاهل حقاً.

إنها مصطلح توراتي مشتق من كلمة (ا و م ت ي ا) بمعنى (أممي) أي غير تابع لأهل الكتاب من اليهود بالذات، وهو المعنى الذي يتبناه القرآن حرفياً، في آيات منها قوله تعالى في سورة آل عمران {وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ} فالأمي في لغة التوراة، ليس هو (غير المتعلم) بل هو (غير اليهودي) الذي استبعده الرب من الشعب المختار، واعتبره نجساً))[20].

ويقول أيضًا: ((إن أحداً لا يعرف من أين استمد المفسرون قولهم بأن كلمة (أُمّي) تعني (غير متعلم) فليس ثمة مبرر ممكن واحد لهذا التفسير الغريب، سوى انحراف المنهج الذي ميّز علم التفسير منذ مولده بسبب إصراره على تجاهل مصادر لهجتنا العربية في القاموس الكلداني))[21].

ويقول في مقالة بعنوان (سلف غير صالح): ((الأصل في القول بأن الرسول محمداً عليه السلام لم يكن يحسن القراءة والكتابة، هو اعتقاد المفسرين المسلمين بأن التوراة والإنجيل يبشران بظهور نبي صفته أنه لا يقرأ ولا يكتب، طبقاً لقول القرآن {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ}.

والمشكلة - كما ترى - ناجمة كلها عن تفسير كلمة (أمّي) التي يصر المفسرون على أنها تعني (لا يقرأ ولا يكتب)، فالواقع أن هذا التفسير مختلق من أساسه، وخارج عن مفهوم الكلمة في قاموس القرآن، وفي أصلها اللغوي معاً، فالقرآن يقول في سورة آل عمران: {وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ} وهي إشارة واضحة إلى أن الأميين هم غير اليهود والنصارى، وليس هم الذين لا يحسنون القراءة والكتابة ...

أما في اللغة، فإن كلمة (أمّي) وردت في جميع اللهجات السامية مشتقة من (أمّ) بتشديد الميم، ومعناها الأصل والمنبع، فإذا نُسبت الصفة إلى المفرد، تصبح (أمي) من (أمة)، وإذا نسبتها إلى الجمع، تصبح (أممي) من (أمم)، وهي الصيغة التي وردت في التوراة بمعنى (من غير اليهود) والثابت أن الكلمة لا علاقة لها بالعجز عن القراءة والكتابة، ولا يستقيم تطويعها لإيراد هذا المعنى إلا من باب التحريف المتعمد))[22].

ويقول أيضًا: ((وبشأن قول القرآن في سورة العنكبوت: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُون} فقد فسره السيوطي بقوله: لو كان الرسول قارئاً كاتباً، لشك فيه اليهود الذين يعرفون من نص التوراة أن النبي المبعوث أمي لا يقرأ ولا يكتب، وهو تفسير قائم على الاعتقاد الخاطئ بأن التوراة والإنجيل يحويان نصًا يثبت أن النبي المذكور (لا يحسن القراءة والكتابة) رغم أن مثل هذا النص غير موجود في أي من الكتابين المقدسين أصلاً))[23].

فهذا مجمل أقوال النيهوم واستدلالاته على عدم صحة القول بأمية النبي صلى الله عليه وسلم.

وسألخص في النقاط الآتية بيان خطأ هذا الرأي، ومخالفته للأدلة الشرعية، مع نقد هذه الشبهة عمومًا، ونقض بعض ما استدل به النيهوم خصوصًا:

1- لقد دلّت نصوص الكتاب والسنة على أمية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يقرأ ولا يكتب؛ ومن ذلك قوله تعالى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُون} [سورة العنكبوت:48].

يقول ابن كثير رحمه الله: ((أي: قد لبثت في قومك -يا محمد- ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرًا لا تقرأُ كتابًا ولا تُحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أُميٌّ لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ} [سورة الأعراف:157]، وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدًا إلى يوم القيامة، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده، بل كان له كُتَّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم))[24].

وقد وَصف الله نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم بالأمية؛ كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} [سورة الأعراف:157]، وقوله تعالى: {فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ} [سورة الأعراف:158].

والأُمّي في لغة العرب: من لا يقرأ ولا يكتب[25]، واختُلف في سبب التسمية بذلك: فقيل: نسبة إلى أمة العرب، سُموا بذلك لندرة القراءة والكتابة فيهم.

وقيل نسبة إلى الأم، بمعنى أنه باق على الحال التي ولدته عليها أمه لا يقرأ ولا يكتب، أو لأن هذه صفة المرأة غالبًا.

وقيل: نسبة إلى أم القرى، وهي مكة، وهو أضعف الأقوال وأوهنها[26].

ومما جاء في السنة النبوية: قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا، يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ)[27].

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم (أمةٌ أميّة) أي: ((باقون على ما ولدتنا عليه الأمهات لا نكتب ولا نحسب))[28].

2- ثبت بالأدلة الشرعية والتاريخية اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الكُتَّاب، الذين عهد إليهم بكتابة الوحي، والعهود والمواثيق، والرسائل التي كان يبعث بها إلى الملوك والولاة وغيرهم[29]، ولم يرد أنه صلى الله عليه وسلم باشر شيئًا من هذه الأعمال الكتابية بنفسه، مما يدل على عدم قدرته على ذلك، إذ يستحيل أن يمتنع قارئٌ كاتبٌ عن القراءة والكتابة عمره كله، فضلًا عن إخفاء طريقة تعلمه في مجتمع صغير لا يتسم بكثيرِ خصوصية!

ولذلك فإن المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مع اتفاقهم مع هؤلاء المستشرقين وأذنابهم في التهمة إلا أنهم لم ينكروا أُميته صلى الله عليه وسلم؛ لتيقنهم من ثبوتها، ومعاينتهم لها، ولذلك احتج القرآن بها عليهم في بيان فساد تهمتهم، كما قال تعالى: {قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُون} [سورة يونس:16].

يقول ابن عاشور رحمه الله: ((تذكيرًا لهم بقديم حاله المعروفة بينهم وهي حال الأمية، أي: قد كنت بين ظهرانيكم مدة طويلة، وهي أربعون سنة، تشاهدون أطوار نشأتي فلا ترون فيها حالة تشبه حالة العظمة والكمال المتناهي الذي صار إليه لما أوحى الله إليه بالرسالة، ولا بلاغة قول واشتهارًا بمقاولة أهل البلاغة والخطابة والشعر تشبه بلاغة القول الذي نطق به عن وحي القرآن، إذ لو كانت حالته بعد الوحي حالًا معتادًا وكانت بلاغة الكلام الذي جاء به كذلك؛ لكان له من المقدمات من حين نشأته ما هو تهيئة لهذه الغاية، وكان التخلُّق بذلك أطوارًا وتدرجًا))[30].

3- إن أمية النبي صلى الله عليه وسلم من دلائل نبوته وصدق رسالته، إذ يستحيل أن يأتي أُميٌّ من عند نفسه بهذه الشريعة الكاملة الشاملة علمًا وأحكامًا، الصادقة قَصصًا وأخبارًا، المعجزة فصاحة وبيانًا.

إلا أن ذلك لا يعني أن إثبات صدق رسالته صلى الله عليه وسلم متوقف على ثبوت أميته، كما يزعم ذلك بعض المستشرقين، كما أن سعي هؤلاء المغرضين لنفي أُميته صلى الله عليه وسلم غير كاف في إثبات دعوى تأثره بكتب اليهود والنصارى ونقله عنهم؛ فإن مجرد إثبات قدرة النبي صلى الله عليه وسلم على القراءة والكتابة لا يُعد كافيًا لتفسير هذا الكم الهائل من المعلومات والأخبار التي جاء بها، والتي يدَّعي هؤلاء المستشرقون وتلامذتهم من المستغربين أنه قد استفادها من كتب اليهود والنصارى، والتي يَلزم الآخِذَ منها في ذلك الوقت معرفةً تامةً باللغات العبرية والسريانية واليونانية، لعدم وجود ترجمة عربية لها زمن البعثة النبوية[31].

إن مقدار المعلومات والأخبار التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم مع ما تتضمنه من تفاصيل دقيقة؛ يستحيل أن يأتي بها رجل لمجرد قدرته على القراءة والكتابة، فمثل هذا القدر الهائل من المعلومات ((لا يتأتى مثله في العادة لأحد، ولا يتأتى ما يقاربه إلا بعد مدارسة العلماء، ومطالعة الكتب السالفة، ومناظرة العلماء، ومحاورة أهل البلاغة من الخطباء والشعراء زمنًا طويلًا وعمرًا مديدًا، فكيف تَأَتّى ما هو أعظم من ذلك المعتاد دفعة لمن قضى عمره بينهم في بلاده يرقبون أحواله صباح مساء، وما عُرف بلدهم بمزاولة العلوم، ولا كان فيهم من أهل الكتاب إلّا من عكف على العبادة وانقطع عن معاشرة الناس))[32].

وبذلك يُعلم أن في إثبات أُمية النبي صلى الله عليه وسلم دفعًا لريبة المبطلين، ونقضًا لكل دعاوى التأثر والاقتباس من علوم الأولين، كما قال تعالى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُون} [سورة العنكبوت:48].

كما أن عدم إثبات أميته صلى الله عليه وسلم لا يعدُّ دليلًا كافيًا على إثبات دعواهم.

4- ذهب قلة من علماء المسلمين كابن أبي شيبة، وأبي ذر الهروي، والباجي، وغيرهم، إلى القول بتعلم النبي صلى الله عليه وسلم، ووزال صفة الأمية عنه -بعد البعثة- اعتمادًا على ظواهر بعض النصوص، وهو قول مرجوحٌ ترده الأدلة الشرعية، والوقائع التاريخية، وأقوال الأئمة المحققين، إلا أنه لا يُعد موافقًا لما ذهب إليه المستشرقون ومن تبعهم، فإن المستشرقين يزعمون تعلم النبي صلى الله عليه وسلم وقدرته على القراءة والكتابة قبل البعثة؛ لتدعيم رأيهم المتعلق بأخذه واقتباسه من علوم أهل الكتاب، بينما القائلون بتعلّمه يُثبتون أُميته ابتداءً، ويجعلون تعلّمه أمرًا طارئًا بعد البعثة -من قبيل الإعجاز- فلا تعلُّق له بما جاء به من الوحي، وقد نبهت على ذلك دفعًا للاشتباه، وحتى لا يُظن أن لقول

المستشرقين سلفٌ في التراث الإسلامي[33].

وأما بخصوص ما جاء في كلام النهوم المنقول سابقًا، فيمكن نقد أبرز ما جاء فيه من خلال النقاط الآتية -وإن كانت الأدلة العامة السابقة كافية في الحكم بفساد ما ذهب إليه-:

أولًا: يدور كلام النهوم في هذه المسألة على تفسير كلمة (الأُمي) الواردة في القرآن تفسيرًا مخالفًا لمعناها العربي؛ بحجة أن الوقوف على معاني ألفاظ القرآن الكريم لا يكون إلا بردها لأصلها في القاموس الكلداني! وهو تطبيق عمليٌّ لما يعتقده من سريانية ألفاظ القرآن الكريم ودلالاته، ولذلك فهو يفسر كلمة (أمي) بمعنى (أممي) أي: من غير أمة اليهود، وهو تفسير خاطئ لما يأتي:

1- إن القرآن الكريم يدحض هذا التفسير الاستشراقي المستجلب من اليهود، وذلك بإثبات وصف (الأميين) لجماعة من اليهود، مما يؤكد أن لفظ الأمي في القرآن الكريم لا يتوافق مع لفظ (الأممي) الذي يستعمله اليهود في اصطلاحهم، وقد تعمَّد النهوم إهمال هذه الآية، وعدم ذكرها في كل استدلالاته بالقرآن على تفسيره لكلمة الأمي!

يقول الله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون} [سورة البقرة:78].

قال البغوي رحمه الله: ((أي: من اليهود أُميون لا يحسنون القراءة والكتابة))[34].

2- إن تفسير النهوم لكلمة (أمي) بمعنى: (من غير اليهود) ليس من اجتهاداته الخاصة ولا بحثه الدؤوب، وإنما هي شبهة مشهورة شائعة عند أساتذته المستشرقين[35]، إذ غالب استدلالات المستشرقين على نفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم تدور حول ربط الكلمة العربية (أمي) بالكلمة الكتابية (أممي) والتي اصطلح اليهود على استعمالها لوصف غير اليهود[36].

3- إن تفسير الألفاظ العربية خارج سياقها الدلالي المتعارف عليه بين الناطقين بها، واستجلاب معان دخيلة من اللغات الأخرى كالسريانية والعبرية وغيرها ليس منهجًا صحيحًا للوقوف على دلالات الألفاظ؛ لأن العبرة في فهم معاني ألفاظ أي لغة هو مراد المتكلمين بها في خطابهم واستعمالهم.

والقرآن الكريم كتاب عربي تُفهم معانيه ودلالاته العامة بحسب لغة العرب واستعمالاتهم لمفرداتها[37]، ولذلك جاء التأكيد على عربية القرآن الكريم في غير ما آية، كما قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون} [سورة يوسف:2]، وقال تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين} [سورة الشعراء:195]، ولم يأت نص واحد في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر بالرجوع لمصادر أهل الكتاب المحرفة أو اللغات الأعجمية من أجل الوقوف على معاني القرآن الكريم.

وكون بعض الكلمات من قبيل المشترك اللفظي بين بعض اللغات أو أن أصلها غير عربي ثم عُربت، لا يسوغ إهمال المعنى المستعمل عند العرب، واستجلاب معان غير معهودة في خطابهم.

يقول الشاطبي رحمه الله: ((لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرفٌ مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب))[38]

وليس المقصود بذلك أن اللغة هي المصدر الوحيد لفهم القرآن وتفسيره، فإن القرآن أُنزل لبيان الشريعة لا لبيان اللغة، وقد استعملت الشريعة ألفاظًا عربية لإرادة معان شرعية تختلف عن المعنى اللغوي المستعمل لتلك اللفظة، وإن كان أصل اللفظ اللغوي باقيًا ضمن المعنى الشرعي؛ ككلمة (الإيمان) و(الظلم) وغيرها، وللوقوف على هذه المعاني الشرعية يجب إعمال المصادر التفسيرية الأخرى كالقرآن نفسه، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، وغيرها[39].

ومما يبين فساد ما ذهب إليه النهوم أن لازم قوله: أن الله تعالى أَنزل كتابًا غامضًا، وخاطب العرب بما لا يفهمونه، وأقام عليهم الحجة بما لا يفقهونه، إذ كان العرب أمة أُمية لا تعرف القراءة والكتابة، فضلًا عن الاطلاع على أصول اللغات! بل لو كان الأمر كذلك لاحتجوا به وقالوا ((نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأنَّا لا نفهمه))[40].

4- يدندن النهوم كثيرًا حول تفسير القرآن بالرجوع إلى اللغة الآرامية أو وليدتها السريانية، وهي إحدى شبهات المستشرقين المتهافتة[41]، حيث يزعم جماعة من المستشرقين ومن تأثر بهم أن ألفاظ القرآن الكريم سريانية وليست عربية! أو على أقل الأحوال أن أصلها سرياني ولا يمكن فهم معانيها إلا بالرجوع لتلك اللغة! وقد أخذ النهوم هذه الشبهة مع بعض التعديلات -كعادته- واعتمد عليها في تأويلاته المتعلقة بمعاني القرآن الكريم.

وهي شبهة قد أبطلها القرآن الكريم عندما أثبت عربية ألفاظه ونَفَى أعجميتها، كما قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون} [سورة يوسف:2]، وقال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِين} [سورة الأحقاف:12]، وقال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [سورة فصلت:44]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِين} [سورة النحل:103]، وغيرها من الآيات.

كما أن القول بأن اللغة العربية متفرعة عن الآرامية أو السريانية قول باطل، فإن اللغة العربية ليست متفرعة عنهما[42]، بل إن الراجح عند بعض أهل التحقيق اللغوي أن اللغة العربية أقدم اللغات السامية -وإن لم تكن أقدمهن تدوينًا-[43].

وأما التشابه اللفظي أو الصوتي بين العربية والسريانية أو العبرية أو الحبشية وغيرها، فهو أمر معروف ومشهور من قديم[44]، وليس من اكتشافات النهوم وأساتذته المستشرقين، ولم يستدل أحد -قديمًا- بهذا التشابه على تولُّد العربية من تلك اللغات، ويُعلل أهل التحقيق ذلك الاشتراك باتحاد الأصل السامي الذي انبثقت عنه هذه اللغات[45].

5- إن القول بهذا المنهج التفسيري الدخيل يَلزَمُ منه الحكم على القرون المفضلة بالضلال، وتخطئة كل كتب التفسير التي اعتمدت في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم دلالاته على لغة العرب وأشعارهم واستعمالاتهم لتلك الألفاظ، وهو ما التزمه النهوم إذ حَكَم في جملة من مقالاته بفساد علم التفسير وضلال المفسرين.

ثانيًا: يستدل النهوم على خطأ المفسرين في فهم معنى (الأمي) بأنهم يعتقدون ((أن التوراة والإنجيل يبشران بظهور نبي صفته أنه لا يقرأ ولا يكتب، طبقاً لقول القرآن {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ}))[46] ثم يرد ما دلت عليه الآية بقوله: ((وهو تفسير قائم على الاعتقاد الخاطئ بأن التوراة والإنجيل يحويان نصًا يثبت أن النبي المذكور (لا يحسن القراءة والكتابة) رغم أن مثل هذا النص غير موجود في أي من الكتابين المقدسين أصلاً))[47].

وقد أخطأ النهوم في استدلاله هذا من وجهين:

أولهما: أن الاستدلال بخلو الكتب السابقة بصورتها الحالية من ذكر أمية النبي صلى الله عليه وسلم، خطأ منهجي في الاستدلال، وتحيز من النهوم لكتبٍ ومصادر يصرح بنفسه أنها مُحرفة ولا تصلح للاحتجاج[48]؛ إذ يَحتمل أن يكون النص

المتضمن لوصف النبي بالأمية في الكتب السابقة قد تعرض للتحريف والتبديل كغيره من النصوص، فالتحاكم لنص محرف لا يستقيم مع دعاوى الحياد العلمي والموضوعية التي يدعيها النهوم، فضلًا عن جعله حاكمًا على نصوص القرآن المحكمة السالمة من التحريف!

وأما الآخر: فإن دعوى عدم تضمن الكتب السابقة لهذه الصفة من صفات النبي صلى الله عليه وسلم خطأ أيضًا، ودلالة على جهل مدعيها بمضامين تلك الكتب التي يُراد لها أن تكون حاكمة ومفسرة للقرآن الكريم!

فقد جاء في سفر إشعياء (12:29) وهو أحد أسفار النصارى ((ويدفع هذا الكتاب ليد إنسان لا يعرف الكتابة ويقول له: اقرأ هذا فيقول: لا أعرف الكتابة))[49].

فهذا النص مع ما فيه من تحريف وتغيير لكلمة القراءة واستبدالها بكلمة الكتابة -في الترجمة العربية- إلا أنه يتضمن الدلالة على عدم قدرة النبي المبشَّر به على القراءة والكتابة!

وأما الترجمة الصحيحة لهذا النص فهي (لا أعرف القراءة) لدلالة السياق عليها، ولكونها المثبتة في الترجمات الأخرى لهذا النص كما في الترجمة الإنجليزية والفرنسية[50].

ثالثًا: إن النهوم نفسه قد فسّر -في مقالة قديمة- الأمية بعدم القراءة والكتابة، واعترف بأن هذا هو معناها اللغوي، بل ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وذلك في مقالته (وجهة نظر في مشكلة ملحة) حيث يقول فيها: ((إن العجز عن قراءة الحروف يدعى في اللغة باسم [الأمية]))[51].

ويقول فيها: ((ولأن النبي الأمي كان دليلًا قائمًا بذاته على أن المشكلة لا تخص القراءة والكتابة من بعيد أو قريب))[52].

ويقول أيضًا: ((فالواقع أن النبي نفسه لا يعرف القراءة))[53].

وهذا التناقض يدل على اختلال المنهج العلمي والاستدلالي للكاتب، وأنه لم يعدُ كونه كاتبًا صحفيًا يتتبع جديد شبهات المستشرقين؛ ليقوم بنشرها مُعربةً منسوبةً لنفسه.

ثانيًا: ادّعاء أن القرآن الكريم يستمد معارفه وأخباره المتعلقة بالرسل و آياتهم من مصادر أهل الكتاب، خاصة التوراة والإنجيل.

بعد ما سبق بيانه من فساد القول بتعلم النبي صلى الله عليه وسلم، وثبوت أميته وعدم قدرته على القراءة والكتابة كما دل على ذلك الكتاب والسنة ووقائع التاريخ، أنتقل إلى الركيزة الثانية في هذه الدعوى، والتي بُنيت على سابقتها.

ولئن كان إبطال القول بقدرة النبي على القراءة والكتابة لا يُبقي لهذه الدعوى متكئًا، إلا أن ذلك لا يعني إهمال نقدها، وكشف زيفها، خاصة وقد قال بها أقوام مع اعترافهم بأمية النبي صلى الله عليه وسلم ككفار قريش، وبعض المستشرقين[54] الذين يعترفون بأميته صلى الله عليه وسلم.

وقد تداول المكذبون بالقرآن الكريم مذ عهد مشركي قريش إلى عصرنا هذا اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بانتحال علوم أهل الكتاب، واستجلاب ما عندهم من أخبار وقصص، وتقديمها بصورة محسنة وبلسان عربي في كتاب واحد، اسمه القرآن!

وقد أكثر الصادق النهوم من تكرار هذه الدعوى، تصريحًا وتلميحًا، وعليها استند في تسويغ الخوض في كتاب الله تعالى بغير حق سواء بادعاء تحريف بعض الآيات أو بتكذيب بعض ما ورد في الآيات من الأحكام والأخبار والقصص أو غير ذلك.

وسأقتصر فيما يأتي على بعض أقواله الصريحة في تقرير هذه الدعوى، ثم أُتبعها بنقد هذه الدعوى وبيان أوجه بطلانها:

يقول النهوم في مقالة بعنوان (مجازر معصومة: أخطاء وأخطاء في نصوص المقدسة): ((فالزعم بأن معلومات النص المقدس هي علم إلهي معصوم من الخطأ، هو ادعاء لا يقول به النص المقدس نفسه، ولا طائل من ورائه سوى الزج بالدين في معركة أبدية ضد مسيرة العلم التجريبي ... فإذا أعلن النص المقدس مثلاً أن الرب خلق السموات والأرض في ستة أيام، أو أن الشهب ترجم الشياطين، أو أن موسى فلق البحر بضربة من عصاه، فإن ذلك لا يعني أن هذه المقولات معارف مقدسة، ولا يمنحها صفة العلم، ولا يجعلها فوق مستوى النقد والتصحيح، إلا في ثقافة شفوية لم تدخل عصر العلم التجريبي، ولا تستحق بالتالي لقب (ثقافة) أصلاً، لقد تلقى مفسرو التوراة درساً صعباً قبل أن يدركوا هذه الحقيقة، وبقي الدور الآن على مفسري القرآن.

فالقرآن أيضاً يعترف صراحة بحقيقة السحر والجن والشياطين، وبلخص مقاطع مطولة من متن التوراة، تبدأ بخلق العالم في ستة أيام، وتنتهي بدخول الإسرائيليين إلى أرض الميعاد، وتأسيس مملكة سليمان الذي كان يسيطر على مسارات الرياح، ويكلم الطير ويفهم لغة النملة، وهي مقاطع لا يمكن أن تدخل في باب العلم أو التاريخ، ولا يستقيم تفسيرها إلا باعتبارها تسجيلاً لأقوال التوراة نفسها ... فالقرآن ليس مرجعًا لأحداث التاريخ، وليس سجلًا لتجارب العلم والمعرفة))[55].

ويقول في مقالة بعنوان (خسرنا المحيط): ((إن الكنيسة الأوروبية اعتبرت المسيحية امتدادًا لشريعة اليهود، وضمت كتاب العهد القديم إلى الإنجيل، لكنها لم تقف هذا الموقف من الإسلام، ولم تضم القرآن إلى نص الكتاب المقدس، لأسباب سياسية بحتة ... إن نجاح البابا في إشعال حرب مقدسة بين هذين النصين المتشابهين [يعني: القرآن والإنجيل] ليس مصدره قدرة البابا على تحقيق المعجزات، بل مصدره أن الكنيسة الأوروبية نفسها، كانت في الواقع مجرد أداة سياسية موجهة منذ أول يوم لضرب الإسلام ... إن كلمة الله لا بد أن تترجم بكلمة GOD وليس ALLAH، وكلمة قرآن لا بد أن تترجم بكلمة BIBLE وليس KORAN ولا بد أن يضم القرآن نفسه إلى نص الكتاب المقدس))[56].

فالقرآن -بحسب النهوم- ليس ناسخًا للكتب السابقة، ولا حاكمًا عليها بالتحريف والبطلان، وموقف النصارى منه ليس إلا موقفًا سياسيًا؛ إذ الحقيقة أنه لا يوجد اختلاف ديني حقيقي بين ما جاء في القرآن وما جاء في الإنجيل، بل إنه يدعو إلى ضم القرآن إلى التوراة والإنجيل، وأن يُغير اسم القرآن باللغة الإنجليزية من (KORAN) إلى (BIBLE) كما هو اسم الكتاب المقدس عند النصارى!

ويقول في مقالة بعنوان (خيانة مرفوعة الرأس): ((إن الرسول محمداً، يرد على الأحاديث المنحولة، بنص مكتوب، محرر من عبث الرواة، اسمه [كتاب الله]، ولم يكن من محض المصادفة أن يفتتح هذا الكتاب نزوله، بقوله تعالى في الآية الأولى من سورة العلق: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} فالقرآن لم يقل [اكتب] بل قال [اقرأ] لأنه ليس كتاباً جديداً، بل قراءة جديدة في كتاب الله نفسه تتوجه لتنقيح هذا النص من شوائب الأحاديث النبوية بالذات، ولهذا السبب يتشابه نص القرآن مع نصوص التوراة وإنجيل لوقا إلى حد يدعو المستشرقين إلى القول بأنه نسخة معربة عنهما، لكن مثل هذا الحكم السطحي لا يتورط فيه أصلاً سوى رجل يرى الدنيا بعين التوراة، مثل أغلب المستشرقين.

فالواقع أن القرآن لا ينقل عن التوراة والإنجيل، بل هو التوراة والانجيل في صياغتهما الإلهية المحررة من عبث رواة الحديث، إنه يسمي نفسه [كتاب الله][57] لأنه بديل عن كتب الحديث النبوي، ويُسمي كلامه وحياً مباشراً من الله، لأنه

بديل عن الكلام المنقول بطريق الرواية، وفي هذا النص المنقح استعاد الدين لغته العالمية، وتم اكتشاف السنة الواحدة القائمة وراء جميع السنن.

بالنسبة إلى الإنجيل، أثبت القرآن رواية لوقا في سورتي مريم وآل عمران، لكنه أسقط بقية الأناجيل، ورفض قولها إن المسيح ابن الله، وندد كثيراً بهذه الترجمة الاغريقية، متعمداً ضرب القاعدة التي تقوم عليها سلطة البابوات في الكنيسة الكاثوليكية، وهو المنهج الذي أعاد البروتستانت اكتشافه، بعد ثمانية قرون من نزول القرآن.

بالنسبة إلى التوراة، أوجز القرآن عرض أسفار التكوين والخروج إلى سفر الملوك الأول، وهو منهج مهمته إعداد هذا النص للتصحيح في نقطتين:

الأولى: أن التوراة تسجل الأحداث باعتبارها [علماً وتاريخاً] وتحدد مواعيدها في المكان والزمان، مما ورطها في تناقض صريح مع مسيرة العلم منذ عصر جاليليو، أما القرآن فقد اختار أن يرويها باعتبارها قصصاً للعظة والعبرة، ونجح بذلك في تجنب الصدام اللامُجدي بين النص المقدس وبين النص العلمي.

الهدف الثاني: أن التوراة تروي هذه الأحداث لإثبات نظرية الشعب المختار، أما القرآن فإنه يرويها لإلغاء هذه النظرية بالذات، وتصحيح النص الديني الذي استحدثت منه صفة الشرعية، خلال الثلاث والعشرين سنة التالية أنجز القرآن مهمته في استبدال كتب الحديث بكتاب منقح واحد، له نص مكتوب واحد، محصن ضد التحريف[58])) [59].

ويقول: ((فالملاحظ أن القرآن اعتمد نص التوراة، باعتبارها [كتاب الله][60]، ولخص معظم الرواية اليهودية عن تاريخ العبرانيين منذ عصر إبراهيم))[61].

وسأوجز في النقاط الآتية أبرز الدلائل التي تكشف بطلان هذه التهمة:

أولًا: إن الاتهامات والدعاوى الساقطة التي تلوكها ألسنة المكذبين عن القرآن الكريم كثيرة جدًا، وذلك منذ أن بزغت أنوار هذا الكتاب الكريم إلى يومنا هذا، وقد جاء في كتاب الله تعالى ذكر هذه الدعوى التي ابتدأها المشركون الأوائل[62]، كما قال تعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [سورة الفرقان:5]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِين} [سورة النحل:103].

فمن آمن بالقرآن حقًا، وصدق بكل ما فيه، فإنه لا يمكن أن يردد هذه الدعاوى؛ لأن الله تعالى قد أبطلها في كتابه الكريم، وبيَّن زَيفها، ودلَّ على أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليس إلا وحيًا إلهيًا، كما قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ} [سورة النساء:163]، وقال تعالى: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (4)} [سورة النجم:2-4].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه التهمة بأنها ظلم وزور، كما قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [سورة الفرقان:4].

بل إن العقل الصحيح لا يمكن أن يقبل هذه التهمة فضلًا عن تصديقها والدعوة إليها، فإنه لا يُعقل أن يأتي رجل أُميٌّ بمثل هذه العلوم والأخبار في تلك البيئة الأمية الجاهلية التي كانت تعبد الأوثان، ولذلك قال الله تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين} [سورة هود:49].

فهذه الدعوى الزائفة بصورتها الجاهلية القديمة، وصورتها الاستشراقية والحداثية الجديدة؛ باطلة شرعًا وعقلًا.

ثانيًا: لا يمكن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على كتب اليهود والنصارى وأخذ منها إلا بالقول بقدرته على القراءة والكتابة، وهو أمر دلت الشريعة على انتفائه، كما سبق بيانه تفصيلًا.

وأما القول بأنه قد تلقى هذه المعلومات تلقينًا من غيره، أو أنه اكتتب بعض أهل الكتاب فدونوا له علومهم وأخبارهم، فباطل أيضًا، وذلك لما يأتي[63]:

1- أن هذا التلقي إن كان قبل البعثة -وهو الأنسب لهذه الدعوى- فيستحيل أن يخفى هذا الاتصال التعليمي على معاصريه الذين نشأ بينهم[64]، خاصة مع خلو البيئة المكية في ذلك الزمن من مظاهر التعلم والتعليم عمومًا، وما يتعلق بعلوم أهل الكتاب خصوصًا، وأما ما يردده بعض المستشرقين من أخذ النبي صلى الله عليه وسلم عن بَحيرى الراهب؛ فليس فيه حجة لقولهم؛ فقد كان لقاءً سريعًا لا يحتمل أن يُحصّل النبي صلى الله عليه وسلم فيه كل تلك المعارف، خاصة وأنه كان في الثانية عشر من عمره صلى الله عليه وسلم [65]، على أن بعض العلماء يرجحون ضعف هذه القصة، ويصفون متنها بالنكارة[66].

2- أن هذا التلقي إن كان بعد البعثة فهو أشد استحالة، وذلك أن أحوال النبي صلى عليه وسلم بعد البعثة كانت محط الأنظار والمشاهدة من قبل المؤمنين والكافرين، فكيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يُخفي مثل هذا الأمر الكبير عليهم جميعًا في بيئة صغيرة كمكة!

زد على ذلك أن اليهود لم يكن لهم وجود بمكة إذ ذاك، وأما النصارى فلم يكن لهم وجود ظاهر إلا ما كان من خبر ورقة بن نوفل[67]، وهو ما تمسك به المستشرقون لدعم رأيهم، ولا مَمسك فيه على الحقيقة؛ لأن لقاء النبي صلى الله عليه وسلم معه كان بعد أن أُنزل عليه الوحي، وكان لقاء سريعًا لا يحتمل ما ادَّعوه، بل إنه كان لقاء يتضمن اعتراف ورقة بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وعزمه على الإيمان به بعد جهره بدعوته، وهذا ما لا يستقيم مع دعوى تعليمه للنبي صلى الله عليه وسلم.

فإن قيل: إن ذلك تم في العهد المدني الذي اختلط فيه النبي صلى الله عليه وسلم باليهود، كما زعم ذلك بعض المستشرقين.

قيل: إن هذا الاستدلال لا ينطبق على الدعوى المستدل لها؛ لكونه لا يجيب عن مصدر المعلومات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة، ودعواهم شاملة للعهدين المكي والمدني.

كما أن أكثر الآيات التي يدَّعي المبطلون تشابهها مع التوراة، هي الآيات المتضمنة لقصص الأنبياء، وقد وردت أكثر تفاصيل تلك القصص في الآيات المكية لا المدنية.

وأما دعوى المشركين الأوائل بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تلقى هذه العلوم من حدادٍ رُومي نصراني أعجمي اللسان، فإنها من قَبيل المعارضات الجدلية التي كان يأتي بها المشركون للتشويه والتنفير والتهرّب، كقولهم عنه صلى الله عليه وسلم إنه ساحر، أو كاهن، أو شاعر، أو مجنون، فإنهم يعلمون يقينًا أنه لم يكن كذلك[68]، ((وإنما كان كلّ همهم أن يدرؤوا عن أنفسهم معرّة السكوت والإفحام، بأية صورة تتفق لهم من صور الكلام، بالصدق أو بالكذب))[69]، وإلا فكيف يُعقل أن ((حدادًا منهمكًا في مطرقته وسندانه، عامي الفؤاد، لا يعلم الكتاب إلا أماني، أعجمي اللسان لا تعدو قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من قومه))[70] ثم يكون هو مصدر هذا الكم الهائل من العلوم والمعارف والأخبار التي عجز البشر أجمعون أن يأتوا بمثلها! ((بل ما منع ذلك الغلام أن يبدي للعالم صفحته فينال في التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة العالمية؟))[71]، ولذلك فإن المستشرقين لم يلتفتوا لهذه الدعوى الجاهلية مع قِدمها؛ لضعفها الظاهر، وفسادها البيّن.

ثالثًا: إن التشابه الواقع بين بعض ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في التوراة والإنجيل ليس دليلًا على نقل القرآن الكريم من تلك الكتب -كما يدّعي النهوم

وغيره[72]- وذلك لأن تلك الكتب في أصلها كتب سماوية، إلا أنها تعرضت للتحريف والتبديل، ولم يكن التحريف والتبديل شاملًا لكل ما جاء فيها، ولذلك فوجود شيء من الاتفاق أمر طبيعي، لأنها كلها في أصلها وحيٌ من الله تعالى، بل إن هذا التشابه والاتفاق من أوجه الدلالة على صدق ما جاء في القرآن الكريم الذي أشار لذلك؛ كما في قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ} [سورة الشعراء:196]، وقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ} [سورة الأعلى:18].

وما أجمل قول المعلمي رحمه الله مبينًا أن قضية التشابه قضية طبيعية، وليست من اكتشافات المستشرقين أو الحداثيين: ((قد علم الجن والإنس أن في الكتاب الموجود بأيدي أهل الكتاب المسمى بالتوراة، ما هو حق، وما هو باطل، وأن في القرآن كثيرًا من الحق الذي في التوراة، وكذلك في السنة، فإذا كان هذا منه كان ماذا؟))[73].

كما أن تلك المصادر القديمة لم تكن مترجمة، ولا مشتهرة في بيئة العرب التي نشأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم[74]، ومع ذلك فقد جاء بكتاب يتضمن كثيرًا مما فيها من الأخبار والقصص، ولكن بصورة صحيحة خالية من التحريف والتناقض الذي اتّسمت به تلك الكتب بعد تحريفها، وهذا أمر لا يمكن أن يقوم به بشرٌ من عند نفسه.

هذا فضلًا عمَّا انفرد به القرآن من المعلومات التي لا توجد في التوراة والإنجيل كقصص بعض الأنبياء، ووصف الملائكة، وأخبار المعاد، وتفاصيل الجنة والنار، والتي لا يمكن أن يُجاب عن مصدريتها إلا بأنها وحيٌ من الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن، فإن القرآن فيه ذكر المعاد وإقامة الحجج عليه وتفصيله، ووصف الجنة والنار، ما لم يذكر مثله في التوراة، وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ما لم يذكر في التوراة، وفيه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته ووصف ملائكته وأصنافهم وخلق الإنس والجن ما لم يفصل مثله في التوراة، وفيه من تقرير التوحيد بأنواع الأدلة ما لم يذكر مثله في التوراة، وفيه من ذكر أديان أهل الأرض ما لم يذكر مثله في التوراة، وفيه من مناظرة المخالفين وإقامة البراهين على أصول الدين ما لم يذكر مثله في التوراة، مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدى من القرآن والتوراة، وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم، حُرمت عليهم عقوبة لهم، وفي شريعة القرآن من قبول الدية في الدماء ما لم يُشرع في التوراة، وفيها من وضع الآصار والأغلال التي في التوراة ما يظهر به أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل.

وأما الإنجيل؛ فليس فيه شريعة مستقلة، ولا فيه الكلام على التوحيد، وخلق العالم، وقصص الأنبياء وأممهم، بل أحالهم على التوراة في أكثر الأمر، ولكن أحل المسيح بعض ما حرم عليهم، وأمرهم بالإحسان والعفو عن الظالم واحتمال الأذى، والزهد في الدنيا، وضرب الأمثال لذلك.

فعامة ما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة، والزهد المستحب، وتحليل بعض المحرمات وهذا كله في القرآن، وهو في القرآن أكمل، فليس في التوراة والإنجيل والنبوات ما هو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة إلا وهو في القرآن أو ما هو أفضل منه، وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ما ليس في الكتابين))[75].

والمقصود: أن ((الاتفاق شيء، والاقتباس شيء آخر، وبينهما فراغ شاسع))[76].

رابعًا: إن تعرض الخطاب القرآني لليهود والنصارى بالذم والتوبيخ والوعيد، كما قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} [سورة التوبة:30].

وقال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون} [سورة الحديد:16].

وقال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء} [سورة المائدة:64].

وقال تعالى: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُون} [سورة البقرة:61].

بل إن كثيرًا من النصوص الشرعية جاءت بالأمر بمخالفتهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ؛ فَخَالِفُوهُمْ)[77]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (خَالِفُوا الْيَهُودَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ، وَلَا خِفَافِهِمْ)[78] يُحيل أن يكون كاتبه متتلمذًا على أيديهم، آخذًا عنهم -كما يزعمون- إذ كيف يرتضون منه ذمهم والقدح في دينهم وعقائدهم والحرص على مخالفتهم، مقابل تعليمهم له!

وكيف يُعقل أن اليهود الذين دبروا كل ما استطاعوا من المكائد والحيل والخيانة لكيد هذا الدين، ثم تعرضوا للإذلال والإجلاء من قبل المسلمين بسبب خيانتهم، ومع ذلك كله لم يفضحوا هذا السر الذي كان كفيلًا بإسقاط الإسلام كله! بل على العكس من ذلك؛ فإن بعض أحبارهم وكبرائهم قد دخلوا الإسلام، وآمنوا بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كانوا في شك منه ما آمنوا به، فضلًا عن أن يكونوا هم مصدر هذا الدين[79].

المطلب الثاني

إنكار المعجزات بدعوى أنها خرافات وأساطير قديمة.

يصرح النهوم في جملة من كتبه ومقالاته بأن جميع ما ورد في القرآن الكريم من ذكر معجزات الأنبياء إنما هي خرافات وأساطير تم تناقلها في الكتب السابقة، ثم أخذها القرآن الكريم ورواها لا على سبيل التقرير والتصديق لها وأنها حقائق تاريخية، وإنما على سبيل الوعظ بالأساطير التاريخية، ولتحقيق التآخي والتآلف مع أصحاب تلك الكتب من اليهود والنصارى.

فمن ذلك قوله في مقالة بعنوان (وجهان ومواطن واحد): ((فالقرآن ليس كتاباً لمحو الأمية، وليست مهمته أن يكشف أسرار العلم للمفسرين، إنه لا يروي قصص التوراة والانجيل لأنه يعتبرها حقائق علمية، بل لأنه يريد أن يحتويها في صيغة منقحة، قادرة على تحقيق التآخي بينها في مجتمع انساني موحد، وهي مهمة أوّلها القرآن على خير وجه، وقدم لأجيال البشرية منذ القرن السابع، أول كتاب مقدس، يحتضن جميع الكتب المقدسة، ويتعايش مع جميع الشرائع والأجناس))[80].

ويقول في مقالة بعنوان (مجازر معصومة: أخطاء وأخطاء في نصوص المقدسة): ((أما الزعم بأن القرآن كتاب علم وتاريخ، فإنه ادعاء مريب، لا يقول به القرآن نفسه، ولا يمكن تمريره إلا في ثقافة لا تميز بين المنهج التجريبي القائم على المشاهدة والتجربة وبين منهج الخرافة القائم على الخداع الشفوي مثل علم تفسير الأحلام، وضرب الرمل وتسخير ملوك الجن في خدمة المشعوذين، والواقع أن التخلف المريع الذي تعايشه ثقافتنا العربية حالياً، قد لا يعكسه شيء أكثر وضوحاً من منهجنا الأسطوري في تفسير نصوص القرآن.

فنحن لا نزال ننظر إلى كتاب الله بعين أعرابي ميت منذ ألف سنة، ولا نزال نتكلم بلسانه ونردد في كتبنا وإذاعاتنا ونعلم أطفالنا كل ما دار في رأس ذلك الأعرابي

الجاهل من أساطير، ابتداء من حبس يأجوج ومأجوج وراء سور من الحديد، إلى فلق البحر، وحوار الشيطان مع آدم، وخروج يونس من بطن الحوت، وتسخير عفاريت الجن في خدمة سليمان، وهي قصص رواها القرآن عن التوراة، وسماها قصصاً، لكن منهجنا في التفسير يمضي أبعد مما أراد الله، مصراً على أنها أحداث تاريخية وقعت بالفعل في المكان والزمان المحددين، لأنه منهج أسطوري، لا يهمه منطق العقل))[81].

وبهذه التقريرات الفوضوية، المفتقرة لأدنى أدوات البحث العلمي، يخلُص النهوم إلى أن القرآن كتاب لا علاقة له بالعلم أو التاريخ، وإنما هو كتاب يروي ما تضمنته كتب اليهود والنصارى من الأساطير والخرافات، شأنه في ذلك كشأن كتب الحكايات والأساطير التي تهدف إلى إمتاع القراء ووعظهم!

وهذه الركيزة الثالثة في دعوى النهوم التأويلية لمعجزات الأنبياء، وهي مبنية على سابقتيها، فإن القول بعدم أمية النبي صلى الله عليه وسلم ممهد للقول بأخذه لهذه المعلومات من كتب أهل الكتاب المحرفة، وهو ما يمهد للتكذيب الصريح بما ورد في القرآن الكريم من تلك الأخبار، وتعليل نقل القرآن الكريم لها بعلل واهية.

وهذا التقرير الذي استند عليه النهوم في تكذيبه بمعجزات الأنبياء فاسد في حقيقته ولوازمه، وذلك لما يأتي:

1- يتضمن كلام النهوم السابق التكذيب الصريح بكل ما ورد في القرآن من أخبار الأنبياء وذكر معجزاتهم الحسية بتفاصيلها، بل لا يمكن أن يصدر هذا عمن يعتقد أن القرآن الكريم بلفظه ومعناه وحيٌ من الله تعالى، الذي يقول في كتابه الكريم: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا} [سورة النساء:122]، ولهذا يمهد النهوم لذلك بالاستناد على شبهات المستشرقين وتأويلاتهم المتعلقة بمصدرية القرآن؛ حتى يتمكن من تمرير انتقاداته للقرآن الكريم باعتباره نص أدبي منقول من علوم أهل الكتاب لا باعتباره كلام الله تعالى.

2- هذه الأسطرة لقصص القرآن الكريم، والحكم عليها بالخرافة، يناقض ما ورد في كتاب الله تعالى من الحكم عليها بالحق، ووصفها بأحسن القصص، وهي أوصاف لا يمكن أن تُلحق بالخرافات والأساطير؛ كما قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} [سورة آل عمران:62]، وقال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ} [سورة الكهف:13]، وقال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} [سورة يوسف:3].

3- أن لازم هذا القول: أن يكون القرآن الكريم كله محل شك وارتياب، إذ لا سبيل للتفريق بين ما ورد فيه على سبيل الوعظ فقط، وما ورد على سبيل التصديق والإثبات التاريخي، خاصة وأن القرآن يُتبع ما يرد فيه من القصص الأسطورية - بحسب النهوم- بأوصاف التصديق!

4- تعليل نقل القرآن الكريم لهذه القصص المتضمنة لمعجزات الأنبياء الحسية مع العلم بعدم صدقها لأجل تحقيق التأخي والتآلف مع أهل الكتاب؛ تعليل متهافت، ينادي على نفسه بالبطلان؛ إذ لو أراد القرآن الكريم تحقيق التآلف مع اليهود والنصارى لنقل ما تضمنته كتبهم من قصص الأنبياء ووصفهم بما لا يليق كما هي عندهم.

فإن أكثر قصص الأنبياء ومعجزاتهم المروية في القرآن الكريم تتضمن تكذيبًا وتصحيحًا لما ورد من أخبارهم في مصادر أهل الكتاب.

فلو أراد القرآن الكريم -مثلًا- تحقيق التآلف مع النصارى برواية قصصهم عن الأنبياء لنقل عنهم قصة عيسى بصفته ابنًا لله، ثم قصة صلبه وفدائه، بينما نجد القرآن الكريم يُعارض قصتهم، ويكذبها صراحة، ويحكم على القائلين بها بالكفر؛ كما قال تعالى: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [سورة المائدة:17]، وقال تعالى: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ} [سورة المائدة:73]، وقال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} [سورة التوبة:30]، وقال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ} [سورة النساء:157].

ثم يقال لصاحب هذا التعليل -تنزُّلاً-: هل تَحقَّقَ مقصود القرآن الكريم بنقل هذه الخرافات والأساطير أم لا؟

فإن قال: قد تحقق ذلك، فقد حَكَم على نفسه بالجمع بين الجهل بالشريعة والجهل بالتاريخ، وحَكَم على رأيه واستدلاله بالسفسطة.

وإن قال: لم يتحقق، فقد حَكَم على القرآن الكريم بالخطأ، والعبث، والعجز عن تحقيق مقاصده.

المطلب الثالث

إنكار معجزات الأنبياء بدعوى الاشتباه بالسحر

تعد هذه الشبهة هي الركيزة الرابعة في بناء الصادق النهوم لمنهجه التأويلي لقصص الأنبياء ومعجزاتهم، حيث يقرر النهوم أن تفسير المعجزات بمعناها الشرعي يؤدي إلى تكريس ثقافة السحر، وبناءً على ذلك فإنه يفسر المعجزات بتفسير مخترع يتوصل من خلاله لإنكار جميع المعجزات الحسية الواردة في النصوص الشرعية.

فيقول في مقالة بعنوان (مجازر معصومة): ((فالمعجزة الإلهية لا يشهدها فرد واحد أو جماعة، بل يشهدها جميع الناس في جميع العصور، هكذا مثل طلوع الشمس وسقوط المطر وخلق الإنسان ودوي البراكين ونمو الزرع ودوران الأفلاك؛ لأن شرط (الآية) هي أن تكون ظاهرة للعيان، فلا يقتصر وقوعها على زمن دون زمن، ولا تتوجه لخدمة شخص ضد آخر))[82].

ويستدل على هذا التعريف للمعجزة بقوله: ((هذا هو معنى المعجزة الإلهية كما حدده القرآن خلال المناظرة بين الملك وبين النبي إبراهيم، إذ جاء في سورة البقرة: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} [سورة البقرة:258] فالآيات الإلهية هي ظواهر الحياة والموت، وظواهر الكون الأبدية، وليست حيل الحواة والسحرة))[83].

ويقول في مقالة بعنوان (الطفل المسحور-وباء الأصولية والتعليم الديني-) مستدلًا على انتفاء وقوع معجزات الأنبياء، وأن الهدف منها إنما هو تكريس أوهام السحر وتعطيل عقول الناس: ((قدرة الله تتجلى في ثبات القوانين الطبيعية، وقدرة الساحر تتجلى في خرق هذا الثبات نفسه، وعدم التمييز بين هاتين القدرتين، هو خلط بين الحق والباطل في أقسى صوره الشيطانية، وأكثرها مدعاة للسخط، إن الله لا يخرق قوانينه، ولا يسمح لأحد بخرقها إلا بسلطان العقل والمنطق، وليس بحيل الدجل والشطارة، ولهذا السبب فإن كل محاولة لنسبة الخوارق إلى الله هي محاولة باطلة، هدفها تكريس أوهام السحر، على حساب العقل والمنطق بالذات ... فما دام الله نفسه قد عمد إلى خرق قوانين العقل، ودس في القرآن أسراراً لم يكن يعلمها أحد، فلا بد أنه إله لا يتقيد أصلاً بمنطق أو قانون، وهي مجرد صياغة أخرى لقولك إن الله (ساحر) لا يمكن إدراك أفعاله بالعقل))[84].

فمعجزات الأنبياء بناء على هذا التقرير ليست إلا عمليات سحرية، ويؤكد النهوم

هذا الاستنتاج بقوله عن معجزات نبي الله موسى عليه السلام الواردة في القرآن: ((منها مباراة موسى مع سحرة فرعون التي شملت مسخ العصي إلى حيات، وإغراق مصر في الدم والظلام والضفادع، بالإضافة إلى فلق البحر الأحمر في أكبر عملية سحرية في التاريخ))[85].

ثم يذكر النيهوم نتيجة الإيمان بهذه المعجزات والخوارق فيقول: ((وهي نتيجة لا تؤدي إلى خلق حركة أصولية كما يقال في الصحف الآن، بل تؤدي إلى ردة وثنية عامة، تتنكر تحت قناع الدين))[86].

وسأوجز في النقاط الآتية أبرز ما تضمنه كلام النيهوم السابق من أخطاء عقدية:

1- يشترط النيهوم في المعجزة أن تكون ظاهرة لجميع الناس في جميع الأزمان، وهو شرط ليس له أي مستند علمي أو عقلي سوى محض التحكم والهوى، وهو دالٌ على عدم فهم بعض الحِكم والمقاصد التي لأجلها يؤيد الله رسله بالمعجزات.

فإن المعجزات التي يؤيد الله بها أنبياءه إنما يراد بها إثبات صدقهم أمام أقوامهم الذين بُعثوا إليهم، وذلك أن دعوات الرسل والأنبياء السابقين إنما كانت خاصة بأقوامهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)[87] فكيف يقال إن معجزاتهم يجب أن تكون مرئية لجميع الناس في جميع الأزمان!

ولذلك لما كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الناس، وخاتمة للنبوات، جعل الله تعالى أعظم آياته ألا وهو القرآن الكريم باقيًا وشاهدًا على صدقه صلى الله عليه وسلم، فالقرآن الكريم هو الآية الوحيدة الباقية ((تتردد في آذان الخلق غضة طرية حتى يأتي أمر الله، بخلاف غيره من معجزات الرسل - عليهم السلام- فإنها كلها مضت وانقضت))[88].

ويدل على هذا المعنى بجلاء قوله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[89].

يقول الطيبي رحمه الله: ((يعني: ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته الشيء الذي من صفته أنه إذا شوهد اضطر المشاهد إلى الإيمان به، وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة، كقلب العصا ثعباناً في زمن موسى عليه الصلاة والسلام، وإخراج اليد البيضاء؛ لأن الغلبة في زمنه للسحر فآتاهم بما هو فوق السحر واضطر إلى الإيمان، وفي زمن عيسى عليه الصلاة والسلام الطب فآتاهم بما هو أعلى من الطب وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ... والمراد بالوحي: القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم والمعنى، وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوة والحجة، ويستمر على مر الدهور والأعصار، وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون، والغائبون عنه، والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء))[90].

كما أن عدم مشاهدة تلك المعجزات عيانًا لا يدل على عدم وقوعها -كما يدّعي النيهوم- إذ عدم العلم بالشيء ليس علمًا بالعدم، وما يزال الناس يصدقون جازمين بكثير مما يقع في العالم دون رؤيته عيانًا، بل إن النيهوم يصدق بخرافة التطور -مثلًا- دون أن يَرى شيئًا من ذلك!

وهذا على سبيل التنزُّل والافتراض، وإلا فالعلم بآيات الأنبياء ومعجزاتهم حاصل لمن جاء بعدهم ((فإنّ هذه العجائب والآيات التي للأنبياء، تارةً تُعلم بمجرّد الأخبار المتواترة، وإن لم نشاهد شيئاً من آثارها، وتارةً نُشَاهد بالعيان آثارها الدالّة على ما حدث؛ كما قال تعالى: {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ} [سورة العنكبوت:38]، وقال تعالى: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا } [سورة النمل:52]، وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِين (75) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقيم (76) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِين (77) وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِين (78) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِين} [سورة الحجر:75-79] أي: لبطريق موضح متبيّن لمن مرّ به آثارهم.

وهذه الأخبار كانت منتشرة متواترة في العالم، وقد علم النّاس أنّها آيات للأنبياء، وعقوبة لمكذبيهم، ولهذا كانوا يذكرونها عند نظائرها للاعتبار؛ كما قال مؤمن آل فرعون: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَاب (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَاد (31)} [سورة غافر:30-31]، وقال شعيب: {وَيَاقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيد } [سورة هود:89]))[91].

فالمؤمن وإن لم يشاهد معجزات الأنبياء الحسية عيانًا إلا أنه يصدق بوقوعها، ويشاهد بعض آثارها، ويستخلص منها كثيرًا من المواعظ والدروس والعبر التي تزيد في قلبه الإيمان واليقين.

2- حَصْر النيهوم لمفهوم المعجزة في الأمور الاعتيادية كنزول المطر وثوران البراكين وغيرها يدل على خلل في فهم معنى المعجزة، فإن المعجزة برهانٌ من الله تعالى على صدق النبي الذي جاء بها، وأما هذه الآيات المتكررة المعتادة فإنما هي آيات دالّةٌ على مُوجدها وخالقها، وهو الله سبحانه وتعالى، وليست دالة على صدق أحد أو كذبه.

فإن الدليل والآية والبرهان على قضية ما يجب أن يكون مطردًا ومستلزمًا لمدلوله؛ وأما إن كان يتحقق تارة مع وجود مدلوله وتارة مع عدمه؛ لم يكن الاستدلال به على وجوده أولى به من الاستدلال على عدمه، فالدليل إمّا أن يكون مساوياً للمدلول عليه، وإمّا أخصّ منه، ولا يكون أعمّ من المدلول.

ولهذا فليس في الأمور المعتادة كطلوع الشمس، أو القمر، أو الكواكب، أو نزول المطر، دلالةٌ على ما هو أخصّ؛ فإن هذه الأمور توجد مع كذب الكاذب كما توجد مع صدق الصادق، فلا دلالة فيها على صدق أحد، ولا كذبه؛ لا مدّعي النبوة، ولا غيره؛ وإنما هي دالة على ما هو أعمّ، وهو وجود الرب وقدرته ومشيئته وحكمته[92].

وأما قوله: إن قدرة الله تتجلى في ثبات قوانينه، وقوله: إن الله لا يخرق قوانينه، للدلالة على امتناع وقوع المعجزات، فهذا استدلال متهافت؛ وذلك أن من عادة الله سبحانه وتعالى وسنته: نصرة أنبيائه، وتأييدهم بالآيات والبراهين، وتمييزهم عن غيرهم بما يخصهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((انخراق العادات أمر معلوم بالحس والمشاهدة بالجملة، وقد أخبر في غير موضع أنه سبحانه لم يخلق العالم عبثًا وباطلًا بل لأجل الجزاء؛ فكان هذا من سنته الجميلة، وهو جزاؤه الناس بأعمالهم في الدار الآخرة، كما أخبر به من نصر أوليائه، وعقوبة أعدائه، فبعث الناس للجزاء هو من هذه السنة، وهو لم يخبر بأن كل عادة لا تنتقض، بل أخبر عن السنة التي هي عواقب أفعال العباد بإثابته أولياءه ونصرهم على الأعداء، فهذه هي التي أخبر أنه لن يوجد لها تبديل ولا تحويل، كما قال تعالى: {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً} [سورة فاطر:43].

وذلك لأن العادة تتبع إرادة الفاعل، وإرادة الفاعل الحكيم هي إرادة حكيمة؛

فتسوي بين المتماثلات، ولن يوجد لهذه السنة تبديل ولا تحويل، وهو إكرام أهل ولايته وطاعته ونصر رسله والذين آمنوا على المكذبين، فهذه السنة تقتضيها حكمته سبحانه فلا انتقاض لها، بخلاف ما اقتضت حكمته تغييره، فذاك تغييره من الحكمة أيضًا، ومن سنته التي لا يوجد لها تبديل ولا تحويل))[93].

ويقول أيضًا رحمه الله: ((ولم تكن له سبحانه عادة بأن يجعل مثل آيات الأنبياء لغيرهم، حتى يقال: إنه خرق عادته ونقضها، بل عادته وسنته المطردة أنّ تلك الآيات لا تكون إلا مع النبوة، والإخبار بها، لا مع التكذيب بها، أو الشك فيها، كما أنّ سنته وعادته أنّ محبته ورضاه وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه، وأنّ سنته وعادته أن يجعل العاقبة للمتقين، وسنّته وعادته أن ينصر رسله، والذين آمنوا؛ كما قال تعالى: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} [سورة الفتح:22-23]، وكلّ ما يُظنّ أنّه خرقه من العادات، فله أسباب انخرقت فيها تلك العادات، فعادته وسنته لا تتبدل؛ إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل))[94].

فما يجري على يد الأنبياء من المعجزات من أعظم دلائل كمال قدرة الله وحكمته وعدله، وليس في إثباتها ما يقتضي ضد ذلك كما يزعم النهوم، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [سورة فاطر:44].

3- استدل النهوم على تعريفه للمعجزة بأنها الظواهر الثابتة في الكون -كالحياة والموت وشروق الشمس من المشرق ونزول المطر وغيرها- بالمناظرة التي جرت بين نبي الله إبراهيم عليه السلام والملِك الذي كان يدَّعي الربوبية[95]، وهو استدلال باطلٌ، وذلك لأمرين:

الأول: أن المقصود من المناظرة لم يكن الاستدلال والبرهنة على نبوة إبراهيم عليه السلام، وإنما الاستدلال على ربوبية الله تعالى ووجوده، وبيان عجز الملك وإثبات عبوديته، فالمقام مقام تعجيز وإفحام لمدعي الربوبية.

وأما المعجزات فإنما يأتي بها الأنبياء للبرهنة على صدقهم، وأنهم مرسلون من عند الله تعالى، وأما الملك فقد كان مُدعيًا للربوبية، محاجًا في الله تعالى لا في نبوة إبراهيم، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} [سورة البقرة:258]، فالمحاجّة بينه وبين إبراهيم عليه السلام كانت في السؤال عن رب إبراهيم عليه السلام وإثبات وجوده، ولذا قال إبراهيم: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} إلا أن مُدَّعي الربوبية استمر في غيّه، وأتى بمغالطة لا حقيقة لها على سبيل التلبيس أو العناد والمكابرة: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} وقد ذكر جماعة من المفسرين[96] أنه ((أحضر رجلين فقتل أحدهما وأرسل الآخر، وقال: قد أحييت هذا وأمتّ هذا))[97] ((ويجوز أن يكون مراده أن الإحياء والإماتة من فعله هو؛ لأن أمرهما خفيٌ لا يقوم عليه برهانٌ محسوس))[98]، ولما رأى إبراهيم عليه السلام تلبيسَهُ ومكابرته انتقل إلى حجة أخرى تدحض دعواه ومكابرته: {قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} ((أي: إذا كنت كما تدّعي مِن أنك أنت الذي تُحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود، في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادَّعيتَ تحيي وتميت فأْت بها من المغرب، {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}))[99].

وبهذا يُعلم بطلان استدلال النهوم بهذه القصة، وعدم مطابقتها لما يستدل بها عليه.

والآخر: أن استدلال النهوم بهذه القصة القرآنية يدل على خلل في منهجه الاستدلالي الذي يقوم على الانتقائية، فإن قصص الأنبياء -بحسب النهوم- ليست إلا أساطير وخرافات يرويها القرآن الكريم، فما الذي جعل هذه القصة مستثناة من هذا الحكم!

ثم إن إبراهيم نفسه عليه السلام قد أيده الله بمعجزة حسية خارقة للعادة (ولم تكن ظاهرة لجميع الناس في جميع الأزمان) ألا وهي نجاته من النار التي أُلقي فيها، وانقلابها إلى طبيعة مخالفة لطبيعتها المعتادة حتى صارت بردًا وسلامًا عليه، كما قال تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [سورة الأنبياء:68-69].

فإذا كانت قصة إبراهيم مع مدعي الربوبية ثابتة، فيلزم أن تكون قصة إحراق إبراهيم عليه السلام ثابتة أيضًا؛ لأن النص الوارد بهما واحد، وحينئذ يبطل قول النهوم بنفي حصول المعجزات الخارقة للعادة للأنبياء.

إذن فليس أمام النهوم إلا أن يثبت القصتين جميعًا؛ فَيَبطُلُ استدلاله بالقصة الأولى بما جاء في القصة الثانية، أو ينفيهما جميعًا؛ فيسقط استدلاله على رأيه بالنص، أو يُثبت ما يوافق هواه وينفي ما يخالفه؛ فيجمع بين تكذيبه بالقرآن، وافتضاح تناقضه، وانكشاف فساد منهجه الاستدلالي، ومشابهته لمن قال الله تعالى فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا (150) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} [سورة النساء:150-151].

4- يخلط النهوم -متعمدًا- بين معجزات الأنبياء والسحر، ويدّعي أن خوارق العادات لا تكون إلا على يد السحرة، بل ويتجرأ على وصف آيات الأنبياء بأنها عمليات سحرية، وهي كلها شبهات متهافتة، سأجمل نقدها في النقاط الآتية:

أولًا: إن تسمية آيات الأنبياء عليهم السلام سحرًا من سنن المشركين المكذبين.

فقد اتَّهم فرعون نبيَّ الله موسى عليه السلام بالسحر، كما في قوله تعالى: {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم} [سورة الشعراء:34].

واتُّهم نبي الله عيسى عليه السلام بالسحر: كما في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِين} [سورة الصف:6].

واتُّهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالسحر، كما في قوله تعالى عن مشركي العرب: {وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِر} [سورة القمر:2].

وقد جاء في القرآن الكريم بيان توافق المكذبين بالرسل على اتهام الأنبياء بالسحر أو الجنون أو بهما، كما في قوله تعالى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُون (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون} [سورة الذاريات:52-53].

ولشدة هذا التوافق في التهمة بين الكفار المتقدمين والمتأخرين، يقول الله تعالى: {أَتَوَاصَوْا بِهِ} أي: أوصى بعضهم بعضًا بهذه المقالة؟ ثم بَيَّن سبحانه وتعالى سبب هذا التوافق والتواطؤ في المقالة بقوله جل وعلا: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون} أي: لكن هم قوم طغاة، تشابهت قلوبهم فتشابهت أقوالهم، كما قال تعالى: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} [سورة البقرة:118].

فالنهوم في وصفه لمعجزات الأنبياء بالسحر لم يخرج عن قول أولئك الطاغين، إلا أنه زاد عليهم حيث جعل الإيمان بمعجزات الأنبياء مستلزمًا لوصف الله تعالى بأنه (ساحر) {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [سورة الإسراء:43].

ثانيًا: إن ما يحصل على أيدي السحرة من خوارق العادات لا يقارن بما يجري على أيدي الأنبياء والمرسلين من الآيات المعجزات، فالدندنة حول وقوع الاشتباه والاختلاط بين معجزات الأنبياء ومخرقات السحرة والمشعوذين باطلٌ؛ لما بينهما من الفروق الظاهرة[100]، ومن أبرز تلك الفروق:

1- أن أخبار الأنبياء عليهم السلام كلها صدق، وأما أخبار السحرة والكهان وأضرابهم فإنها مليئة بالكذب، كما قال تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم} [سورة الشعراء:221-222]، كما أن الأنبياء لا يأمرون إلا بالحق والخير، والسحرة إنما يأمرون بالباطل والشر.

2- أن آيات الأنبياء ليست مقدورة للسحرة، ولا يمكنهم معارضتها والإتيان بمثلها أبدًا، كما أنها لا تُنال بالتعلّم والاكتساب، وأما مخاريق السحرة فهي أمور معروفة تُنال بالتعلم والاكتساب، ويمكن أن تُعارض بمثلها.

فدعوى النيهوم أن التصديق بمعجزات الأنبياء يكرس أوهام السحر، دعوى باطلة؛ لما بين الأمرين من التباين الظاهر -كما سبق تقريره-.

ومما ينبغي أن يُعلم: أن النيهوم لا يقر بوقوع تلك المعجزات حقيقة لا على وجه الإعجاز الإلهي ولا على وجه السحر، ولكنه يزعم أنها أساطير وحكايات خرافية أخذها القرآن من التوراة التي كان كاتبوها ومفسروها متأثرين بثقافة السحر ومصدقين به، فلم يكتف بمجرد التكذيب بها، وإنما زاد على ذلك بتقرير أن كل خارق للعادة فهو من قبيل خرافات السحرة ولو نُسب إلى الأنبياء![101]

5- ما ورد في كلام النيهوم من أن الإيمان بمعجزات الأنبياء يؤدي إلى ردة وثنية عامة، دليل على غلوه في نصرة آرائه، ووقوعه فيما يَتهم به مخالفيه وناقديه، فالنيهوم يُكثر في كتاباته من اتهام الرادين عليه بتكفيره، وها هو الآن يستعرض قدرته على التكفير، ولكن بصورة أعم!

وقد تعمدت الإشارة لهذا الأمر قطعًا للطريق على المتعصبين له، الذين ما إن يروا ناقدًا للنيهوم إلا ويتهمونه بالتكفير!

وأخيرًا: فإن القارئ لما تم نقله في هذا البحث من تقريرات النيهوم واستدلالاته يجد أنها تفتقر لأدنى أساليب البحث العلمي والاستدلال المنهجي؛ وذلك لأنها عبارة عن كلام مرسل، يراد به التكذيب بالأصول الدينية، والتشكيك في الثوابت، ومما يدل على ذلك اعتماد النيهوم في نشر كتاباته على الصحف والمجلات غير العلمية، التي يقرأها -غالبًا- عامة الناس من غير المتخصصين، والذين يسهل اصطيادهم بدعاوى التجديد، وتحكيم العقل، والقضاء على التبعية؛ لافتقارهم لأدنى أدوات التحقيق العلمي التي تكشف ما تحمله هذه الدعاوى -غالبًا- من جهلٍ مركبٍ، وهوىً مُتبَّع، وتبعية عمياءٍ لمقالات المستشرقين والملحدين!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين.

الخاتمة

أبرز النتائج:

1- أن موقف الصادق النيهوم من معجزات الأنبياء هو إنكارها جملة وتفصيلًا، واعتقاد أنها محض خرافات وأساطير تناقلتها كتب الأديان السابقة ثم نقلها عنهم القرآن الكريم لا على سبيل التصديق والإقرار، وإنما على سبيل الوعظ وتحقيق التآخي مع أصحاب تلك الأديان.

2- أن منهج النيهوم التأويلي لمعجزات الأنبياء يقوم على أربع ركائز:

أولًا: إنكار أمية النبي صلى الله عليه وسلم

ثانيًا: نسبة قصص الأنبياء ومعجزاتهم الواردة في القرآن إلى مصادر أهل الكتاب.

ثالثًا: أسطرة معجزات الأنبياء، واعتبارها مجرد خرافات تناقلتها المصادر الدينية القديمة.

رابعًا: تحريف المعنى الشرعي للمعجزة، وتشبيهها بالسحر.

3- أن منهج النيهوم التأويلي للنصوص الدينية يستند في أغلبه على أطروحات المستشرقين، وشبهاتهم.

4- أن تقريرات النيهوم المتعلقة بمعجزات الأنبياء تفتقر إلى أهم أسس البحث العلمي؛ ألا وهو الاستدلال، فهي في جملتها مجرد دعاوى تفتقر إلى الموضوعية وتتسم بالتناقض.

الهوامش

(1) تسمية آيات الأنبياء بـ(المعجزات) تسمية اصطلاحية مشهورة عند العلماء، إلا أنها لم ترد في نصوص الكتاب والسنة، إذ الوارد في النصوص استعمال (الآية) و(البرهان) و(البينة). انظر: النبوات (215/1).

(2) انظر: النبوات (684/2-687، 889، 895، 927).

(3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (417/1).

(4) انظر: موقف عبد المجيد الشرفي من الدين والتراث (11)، وموقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام (23-24).

(5) انظر: نقد الحداثة لتورين (29-30، 272)، وظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر (7)، وموقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام (69).

(6) انظر: اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة (132).

(7) انظر: موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام (11-24)، وظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر (166-173).

(8) الأنسنة: مصطلح مستجلب من الفكر الغربي المادي يقوم على إعلاء الإنسان وإحلاله محل الإله، وجعله حاكمًا على النصوص الدينية وناقدًا لها، مع نزع صفة القداسة عنها. انظر: مصطلح الأنسنة وتجلياته في الفكر المعاصر (116-121).

(9) انظر: دراسات معرفية في الحداثة الغربية (34)، ومصطلح الأنسنة وتجلياته في الفكر المعاصر (116-118).

(10) انظر: موقف عبد المجيد الشرفي من الدين والتراث (23).

(11) مقاييس اللغة (232/4)

(12) انظر: مقاييس اللغة (232/4)

(13) انظر: الصحاح (884/3)، وتاج العروس (211/15).

(14) انظر: النبوة والأنبياء بين حقائق الدين وشبهات العلمانيين (122/1).

(15) انظر: النبوات (215/1)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (412/5).

(16) انظر: النبوات (603/1) (773/2، 785، 841).

(17) انظر: موقف ابن تيمية من خوارق العادات (94).

(18) انظر: معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين (444)، وطرق مغطاة بالثلج (21-27).

(19) انظر: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (941/2).

(20) إسلام ضد الإسلام (23).

(21) إسلام ضد الإسلام (24).

[22](22) إسلام ضد الإسلام (89-90).

(23) إسلام ضد الإسلام (90).

(24) تفسير ابن كثير (285/6)

(25) انظر: مقاييس اللغة (28/1)، وتاج العروس (237/31).

(26) انظر: معالم السنن (93/2)، وشرح النووي على مسلم (192/7)، وفتح الباري لابن حجر (127/4).

(54) كالمستشرق الفرنسي سيديو، والمستشرق الإنجليزي توماس كارليل، والمستشرق هنري دي كاستري. انظر: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (958/2-959).

(55) إسلام ضد الإسلام (266-268).

(56) محنة ثقافة مزورة (125-127).

(57) يفسر النيهوم مراده بوصف القرآن بأنه كلام الله، بقوله: ((كلمة كتاب الله، مثل كلمة بيت الله)). إسلام ضد الإسلام (116).

(58) يعترف النيهوم هنا بأن القرآن محصن ضد التحريف لدعم الفكرة التي يحاول إثباتها، ويتناسى ما قرره في مقالات سابقة من تعرض القرآن للتحريف. انظر: إسلام ضد الإسلام (110-120، 209-210).

(59) الإسلام في الأسر (136-138).

(60) هذا من تناقضات النيهوم؛ فقد قرر في مقالة بعنوان (خيانة مرفوعة الرأس) أن التوراة والإنجيل من قبيل الحديث النبوي الشفوي، وأن اسم [كتاب الله] جاء به النبي صلى الله عليه وسلم للتفريق بين القرآن وبين ما سبقه من الكتب المروية بالمشافهة. انظر: الإسلام في الأسر (138).

(61) إسلام ضد الإسلام (116).

(62) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم (136).

(63) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم (139-176)، وآراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (289/1).

(64) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (326/5).

(65) انظر: سيرة ابن هشام (108/1)، والسيرة النبوية الصحيحة (106/1).

(66) انظر: عيون الأثر (108/1)، وتاريخ الإسلام (503/1)، والسيرة النبوية الصحيحة (106/1-111).

(67) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (393/5-394).

(68) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (328/5).

(69) النبأ العظيم (80).

(70) النبأ العظيم (81).

(71) النبأ العظيم (82).

(72) الاستدلال بالتشابه بين القرآن وما في الكتب السابقة من أشهر أدلة المستشرقين على هذه الدعوى. انظر: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (642/2)، وآراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (291/1).

(73)

(74) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم (150)، ومناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (645/2).

(75) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (71/5-73).

(76) مدخل إلى القرآن الكريم (176).

(77) أخرجه البخاري في صحيحه (170/4) برقم: (3462)، ومسلم في صحيحه (155/6) برقم: (2103) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(78) أخرجه أبو داود في سننه (247/1) برقم: (652)، والحاكم في مستدركه (260/1) برقم: (962) وقال: ((صحيح الإسناد))، والبيهقي في سننه الكبير (432/2) برقم: (4325) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وقال الشوكاني في نيل الأوطار (151/2): ((لا مطعن في إسناده))، وصححه الألباني في أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (109/1).

(27) أخرجه البخاري في صحيحه (27/3) برقم: (1913)، ومسلم في صحيحه (122/3) برقم: (1080) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(28) شرح النووي على مسلم (192/7).

(29) انظر: مجموع الفتاوى (166/25)، والتراتيب الإدارية (151/1-157).

(30) التحرير والتنوير (119/11-123).

(31) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (267/1)، ومدخل إلى القرآن الكريم (150)، ومناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (940/2).

(32) التحرير والتنوير (123/11).

(33) انظر: فتح الباري لابن حجر (503/7)، ومناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (945/2)

(34) تفسير البغوي (114/1). وانظر: تفسير الطبري (152/2-154)، والتحرير والتنوير (573/1).

(35) تذكر أغلب التراجم للصادق النيهوم أنه نال درجة الدكتوراة في مقارنة الأديان بألمانيا تحت إشراف جماعة من المستشرقين، ولم أجد -بعد بحث- أي معلومة موثقة تثبت نيله لهذه الدرجة العلمية، وقد شكك في نيله لها أيضًا الكاتب رمزي زائري كما في مقاله المنشور بصحيفة المرصد سنة (2018م) في العدد (55) تحت عنوان (النيهوم لو كان حياً).

(36) انظر: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (944/2).

(37) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور (163/1)، ومختصر الصواعق المرسلة (28/1-39)، والتفسير اللغوي للقرآن الكريم (40).

(38) الموافقات (131/2).

(39) التفسير اللغوي للقرآن الكريم (633-634).

(40) تفسير الطبري (643/1).

(41)

(42) انظر: فصول في فقه العربية (25-36)، ومعجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية (11-15).

(43) انظر: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية (8).

(44) انظر: العين (205/1)، الإحكام في أصول الأحكام (31/1-32)، وعمدة الكتاب (80)، والتعريف والإعلام (20)، وفصول في فقه العربية (43-45).

(45) انظر: الإحكام في أصول الأحكام (32/1)، ونشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها (67)، ومعجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية (19).

(46) إسلام ضد الإسلام (89).

(47) إسلام ضد الإسلام (90).

(48) انظر: الحديث عن المرأة والديانات (13، 29).

(49) سفر إشعياء (الترجمة السبعينية) (142).

(50) انظر: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (959/2).

(51) تحية طيبة وبعد (62).

(52) تحية طيبة وبعد (57).

(53) تحية طيبة وبعد (62).

[5]ابن تيمية، أحمد، النبوات، الطبعة الثانية، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، السعودية.
[6]ابن حجر، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، مصر.
[7]ابن حزم، علي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
[8]ابن سيد الناس، محمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت.
[9] ابن عاشور، محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
[10] ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
[11] ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، دار الفكر، لبنان.
[12] ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار طيبة، السعودية.
[13] ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
[14] أبو داود، سليمان، السنن، دار الكتاب العربي، بيروت.
[15] إبيفانيوس، أنبا، سفر إشعياء، الطبعة الأولى، مطبعة دير القديس أنبا مقار، مصر.
[16] أقليميس، يوسف، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، طبع دير الآباء الدوسكيين، الموصل.
[17] البخاري، محمد، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، بيروت.
[18] البغوي، الحسين، معالم التنزيل (تفسير البغوي)، الطبعة الأولى، دار طيبة، السعودية.
[18] البيهقي، أبو بكر، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف، الهند، الطبعة الأولى.
[20] الجوهري، إسماعيل، الصحاح، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت.
[21] الحاكم، محمد، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت.
[22] الحمد، محمد، موقف ابن تيمية من خوارق العادات، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي، الدمام.
[23] الخطابي، حمد، معالم السنن، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية بحلب، سوريا.
[24] الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
[25] الزبيدي، محمد، تاج العروس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
[26] السيف، خالد، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، الطبعة الثالثة، مركز التأصيل، الرياض.
[27] الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، السعودية.
[28] الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الطبعة الرابعة، دار عالم الفوائد، السعودية.

(79) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (326/5، 388، 394)، وآراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (342/1)، ومناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم (636/2).
(80) الإسلام في الأسر (169).
(81) إسلام ضد الإسلام (269).
(82) إسلام ضد الإسلام (261).
(83) إسلام ضد الإسلام (262).
(84) إسلام ضد الإسلام (254-255).
(85) إسلام ضد الإسلام (261).
(86) إسلام ضد الإسلام (255).
(87) أخرجه البخاري في صحيحه (74/1) برقم: (335)، ومسلم في صحيحه (63/2) برقم: (521) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
(88) أضواء البيان (225/2).
(89) أخرجه البخاري في صحيحه (182/6) برقم: (4981)، ومسلم في صحيحه (92/1) برقم: (152) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(90) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (3634/11-3635)
(91) النبوات (514/2-515).
(92) انظر: النبوات (723/2، 812).
(93) الرد على المنطقيين (391).
(94) النبوات (868/2-869).
(95) ذكر جماعة من المفسرين أن الذي حاجّ إبراهيم هو ملك بابل، واسمه نمرود-بالدال المهملة في آخره- ويقال بالذال المعجمة. انظر: تفسير الطبري (568/4)، وتفسير ابن كثير (686/1).
(96) انظر: تفسير الطبري (570/4)، وتفسير البغوي (316/1)، والمحرر الوجيز (346/1).
(97) المحرر الوجيز (346/1).
(98) التحرير والتنوير (33/3). وانظر: تفسير ابن كثير (686/1)، وتفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (280/3).
(99) تفسير ابن كثير (686/1).
(100) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أكثر من عشرة فروق بين آيات الأنبياء ومخرقات السحرة والمشعوذين. انظر: النبوات (558/2-559، 826-837، 1073-1090).
(101) انظر: إسلام ضد الإسلام (266-269).

قائمة المصادر:

[1]ابن القيم، محمد، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصار محمد الموصلي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى.
[2]ابن تيمية، أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الطبعة الثانية، دار العاصمة، الرياض.
[3]ابن تيمية، أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الطبعة الثانية، دار العاصمة، السعودية.
[4]ابن تيمية، أحمد، الرد على المنطقيين، الطبعة الثالثة، مطبعة معارف لاهور، باكستان.

[43]النيهوم، الصادق، تحية طيبة وبعد، الطبعة الثانية، دار تالة، طرابلس.
[44]النيهوم، الصادق، محنة ثقافة مزورة، الطبعة الثانية، دار رياض الريس، لندن.
[45]برادة، محمد، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 68، سنة 2006م، ص 132-150.
[46]تورين، ألان، ترجمة أنور مغيث، نقد الحداثة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
[47]حبنكة، محمد، النبوة والأنبياء بين حقائق الدين وشبهات العلمانيين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
[48] خياط، ندى، مصطلح الأنسنة وتجلياته في الفكر المعاصر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز، المجلد 28، العدد 6، سنة 202م، ص105-131.
[49]خياط، ندى، موقف عبد المجيد الشرفي من الدين والتراث، الطبعة الأولى، آفاق المعرفة، الرياض.
[50]دراز، محمد، النبأ العظيم، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض.
[51]رضوان، عمر، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، الطبعة الأولى، دار طيبة، السعودية.
[52]عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، الطبعة السادسة، مكتبة الخانجي، مصر.
[53]كمال الدين، حازم، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، مصر.
[54]مسلم، أبو الحسين، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.
[55] مليطان، عبد الله، معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، الطبعة الأولى، دار مداد، طرابلس.
[29] الشوكاني، محمد، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى.
[30] الطبري، محمد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة الأولى، دار هجر، مصر.
[31] الطيار، مساعد، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام.
[32] الطيبي، الحسين، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
[33] العمري، أكرم، السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة السادسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
[34]العمري، رياض، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، الطبعة الأولى، مركز التأصيل، الرياض.
[35]القرطبي، أحمد، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الطبعة الأول، دار ابن كثير، دمشق.
[36]القرني، محمد، موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، الطبعة الأولى، مركز البيان، الرياض.
[37]الكبتي، سالم، طرق مغطاة بالثلج، الطبعة الأولى، تالة، طرابلس.
[38]الكرملي، أنستاس، نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، المطبعة العصرية، مصر.
[39]النووي، يحيى، شرح النووي على مسلم، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر.
[40]النيهوم، الصادق، إسلام ضد الإسلام، الطبعة الثالثة، دار رياض الريس، لندن.
[41]النيهوم، الصادق، الإسلام في الأسر، الطبعة الثالثة، دار رياض الريس، لندن.
[42]النيهوم، الصادق، الحديث عن المرأة والديانات، الطبعة الأولى، دار تالة، طرابلس.